الإمام الشوكاني

دراسة في حياته وعصره

للباحث

ضياء الدين محمود سيد

جامعة المنيا – كلية الآداب – قسم الدراسات الإسلامية

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، و من يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد :

فهذه دراسة بسيطة أضعها بين يدي الباحثين و المثقفين و المهتمين بتاريخ أمتهم المجيد و تراثها الغني ، نذكر فيها سيرة تلك الشخصية الفذة الأصيلة بمواهبها ، الغنية بفنون علمها ، و أقدم دراسة عن فكر هذا العلامة النادر المثال، الذي وقف حياته مبدعًا في ميادين العلم و المعرفة بمعناها الموسوعي ، و الثقافي الشامل المحيط .

إن الإمام محمد بن علي الشوكاني – رحمه الله تعالي – من الأئمة الأعلام المبرزين في القرن الثالث عشر الهجري ، فقد بذل حياته كلها لخدمة العلم، و لا يشغله عنه أيّ أمر من الأمور، و قد ابتدأ في طلب العلم منذ نعومة أظفاره ، و أقبل علي العلماء في عصره ، و في بلده اليمن يواكب علي دروسهم ، و أكب علي كتب أهل العلم في فنون شتي ، يقرأها و يذاكرها ، حتي نال في وقت مبكر من عمره علومًا كثيرة ، و فنونًا مختلفة ، و قد مارس التدريس قبل سن العشرين ، و تصدَّر للإفتاء من نحو العشرين من عمره فما بعد ذلك ، و اجتهد رأيه اجتهادًا مطلقًا غير مقيد و هو دون الثلاثين ، و كانت مؤلفاته تربو علي [270] مائتين وسبعين كتابًا و بحثًا ورسالة ، و قد بارك الله– I– في أوقاته وعمله ، فأفاد منه خلق كثير في حياته، و لا زال طلاب العلم ينتفعون بمؤلفاته القيمة في التفسير ، و الحديث ، و الفقه ، و الأصول ، و العقيدة ، و التراجم ، و التربية، و غير ذلك من فنون الشريعة .

و هذه هي أهم الأسباب التي دفعتني إلي هذه الدراسة الذي قسمت إلي مطلبين وهما:

المطلب الأول : ترجمة الإمام الشوكاني؛ ويشمل :

- اسمه و نسبه .
- موطنه .
- مولده و نشأته .
- طلبه للعلم .
- أشهر شيوخه و تلاميذه .
- التدريس و الإفتاء و القضاء .
- آثاره العلمية و مؤلفاته .
- وفاته .

المطلب الثاني : عصر الإمام الشوكاني؛ ويشمل :

- الحياة السياسية .
- الحياة الفكرية .
- الحياة الدينية .
- الحياة الاجتماعية و الاقتصادية .

و في نهاية البحث و الدراسة جاءت الخاتمة؛ و بها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث .

والله أسأل أن يرزقنا التوفيق و السداد ، إنه نعم المولي و نعم النصير

المطلب الأول: ترجمة الإمام الشوكاني

اسمه و نسبه :

هو الإمام المجتهد الفقيه المحدث محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن إبراهيم بن محمد العفيف بن محمد بن رزق ينتهي إلي خَيْشَنَةَ . و ذلك كما ترجم هو لنفسه في كتاب "البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع " ([1])

و قد أوصل الشوكاني نسبه إلي سيدنا آدم – عليه السلام – عند ترجمته لوالده – رحمه الله تعالي – في كتاب البدر الطالع .([2])

موطنه :

قال الإمام الشوكاني عند ترجمة والده :

"و الشوكاني نسبة إلي شوكان، و هي قرية من قري السحامية إحدى قبائل خولان ، بينها و بين صنعاء دون مسافة يوم ، و هو أحد المواضع التي يطلق عليها شوكان باليمن... فهناك أربعة مواضع يسمي كل واحد منها شوكان، و نسبة صاحب الترجمة إلي شوكان ليست حقيقية؛ لأن وطنه و وطن سلفه و قرابته هو مكان عدني شوكان، بينه و بينها جبل كبير مستطيل يقال له الهجرة، و بعضهم يقول له هجرة شوكان. فمن هذه الحيثية كان انتساب أهله إلي شوكان([3]).

و هذه الهجرة معمورة بأهل الفضل والصلاح و الدين من قديم الأزمان ، لا يخلو وجود عالم منهم في كل زمان ، و لكنه يكون تارة في بعض البطون ، و تارة في بطن أخري ، و لهم عند سلف الأئمة جلالة عظيمة ، و فيهم رؤساء كبار ناصروا الأئمة ، و لا سيما في حروب الأتراك ، فإن لهم في ذلك اليد البيضاء ، و كان منهم إذ ذاك علماء و فضلاء يعرفون في سائر البلاد الخولانية بالقضاة.([4])

مولده:

قال الشوكاني في ترجمته لنفسه في البدر الطالع :

" ولد حسبما وجد بخط والده في وسط نهار يوم الاثنين الثامن و العشرين من شهر ذي القعدة 1173 هـ (ثلاث وسبعين ومئة وألف) بهجرة شوكان ، وكان إذ ذاك قد انتقل

والده إلي صنعاء واستوطنها ، و لكنه خرج إلي وطنه القديم في أيام الخريف فولد له صاحب الترجمة هناك .(5)

نشأته :

كما ذكر الإمام الشوكاني : أنه ولد بهجرة شوكان ، و نشأ بصنعاء (6).

و لقد نشأ الشوكاني محبًا للعلم و أهله، معرضًا عن الدنيا و زخارفها؛ مبتغيًا وجه الله– عز و جل. و كان منجمعًا عن بني الدنيا، لم يقف بباب أمير و لا قاضٍ ، و لا صَحِبَ أحدًا من أهل الدنيا ، و لا خضع لمطلب من مطالبها، بل كان منشغلًا في جميع أوقاته بالعلم درسًا، و تدريسًا ، و إفتاءً و تصنيفًا عائشًا في كنف والده – رحمه الله تعالي – راغبًا في مجالسة أهل العلم و الأدب و ملاقاتهم و الإفادة منهم وإفادتهم .(7)

طلبه للعلم :

ذكر الشوكاني في ترجمته لنفسه ما نصه :

" قرأ القرآن علي جماعة من المعلمين ، و ختمه علي الفقيه حسن بن عبد الله الهَبَل ، و جوَّدَهُ علي جماعة من مشائخ القرآن بصنعا، ثم حفظ الأزهار للإمام المهديّ، و مختصر الفرائض للعُصَيفَري ، و الملحْة للحريري ، و الكافية و الشافية لابن الحاجب ، و التهذيب للتفتازاني ، و التلخيص للقزويني ، و الغاية لابن الإمام ، و بعض مختصر المنتهي لابن الحاجب ، و منظومة الجزَري، و منظومة الجزّار في العَروض ، و آداب البحث للعضُد ، و رسالة الوضْع له أيضًا .

و كان حفظه لهذه المختصرات قبل الشروع في الطلب ، و بعضها بعد ذلك ، ثم قبل شروعه في الطلب كان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التواريخ ، و مجامع الأدب من أيام كونه في المكتب، فطالع كتبًا عدة و مجاميع كثيرة، ثم شرع في الطلب.(8)

الرحلة في طلب العلم :

لم يكن للشوكاني – رحمه الله تعالي – رحلة في طلب العلم لأسباب حيث ذكر في ترجمته في البدر الطالع بعد ذكر مسموعاته ومقروءاته :

" و كانت قراءته لما تقدم ذكره في صنعاء اليمن، و لم يرحل لأعذار أحدها : عدم الإذن من الأبوين "(9).

شيوخ الشوكاني :

نذكر هنا الشيوخ الذين ذكرهم الشوكاني في ترجمته لنفسه في البدر الطالع و هم سبعة عشر شيخًا ورد ذكرهم في مسموعاته و مقروءاته؛ و هم علي الترتيب التالي :

1 – أحمد بن عامر الحدائي ثم الصنعاني .

2 – أحمد بن محمد بن أحمد بن مطهر القابلي المعروف بالحرازي .

3 – السيد إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم.

4 – الحسن بن إسماعيل بن الحسين بن محمد المغربي نسبة إلي مغارب صنعاء ثم الصنعاني.

5 – صديق بن علي المزجاجي الزبيدي الحنفي .

6 – عبد الرحمن بن الحسن الأكوع .

7 – السيد عبد الرحمن بن قاسم المدائني .

8 – السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين بن شمس بن الإمام المهدي أحمد بن يحيي .

9 – عبد الله بن إسماعيل بن حسن بن هادي النهمي .

10 – السيد عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن الإمام المتوكل علي الله إسماعيل بن القاسم بن محمد .

11 – السيد علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن عامر الشهيد.

12 – علي بن محمد الشوكاني (والده) .

13 – علي بن هادي عرهب الصنعاني .

14 – القاسم بن يحيي الخولاني ثم الصنعاني .

15- هادي بن حسين القارني ثم الصنعاني .

16 – السيد يحيي بن محمد الحوثي ثم الصنعاني .

17 – يوسف بن محمد بن علاء الدين المزجاجي الزبيدي الحنفي .(10)

ثم قال الشوكاني بعد سرد مسموعاته ومقروءاته علي هؤلاء الشيوخ :

" هذا ما أمكن سرده من مسموعات صاحب الترجمة و مقروءاته ، و له غر ذلك من المسموعات و المقروءات ، و أما ما يجوز له روايته بما معه من الإجازات ، فلا يدخل تحت الحصْر ، كما يحكي ذلك مجموع أسانيده ".(11)

التدريس و الإفتاء و القضاء :

يقول الشوكاني عن نفسه :

" وقد دَرّس في جميع ما تقدم ذِكرُه – بعد ذكر مسموعاته و مقروءاته – و أخذ عنه الطلبة ، و تكرر أخذهم عنه في كل كتاب من تلك الكتب ، و كثيرًا ما كان يقرأ علي مشايخه، فإذا فرغ من كتاب قراءَة أخذه عنه تلامذتهُ ، بل ربما اجتمعوا علي الأخذ منه قبل أن يَفرُغَ من قراءة الكتاب علي شيخه ، و كانت تبلغ دروسُه في اليوم والليلة إلي نحو ثلاثة عشر درسًا منها ما يأخذه عن مشايخه، و منها ما يأخذه عنه تلامذتهُ ، و استمر علي ذلك مدة حتي لم يبْقَ عند أحدٍ من شيوخه ما لم يكن من جملة ما قد قرأه الشوكاني ، بل انفرد بمقروءات بالنسبة إلي كل واحد منهم علي انفراده إلا شيخه العلامة عبد القادر بن أحمد فإنه مات و لم يكن قد استوفي ما عنده ".(12)

ثم إن الشوكاني فرَّغَ نفسه لإفادة الطلبة ، فكانوا يأخذون عنه في كل يوم زيادة علي عشرة دروس في فنون متعددة ، واجتمع منها في بعض الأوقات التفسير ، و الحديث ، و الأصول ، و النحو، و الصرف ، و المعاني ، و البيان ، و المنطق ، و الفقه ، و الجدل و العَروضَ.

و كان في أيام قراءته علي الشيوخ و إقرائِه لتلامذته يُفتي أهل مدينة صنعاء ، بل و مَنْ وفد إليها، بل ترد إليه الفتاوي من الديار التهامية ، و شيوخه إذ ذاك أحياء ، و كادت الفتيا تدور عليه من عوام الناس و خواصهم ، و استمر يُفتي مِن نحو العشرين من عمره فما بعد ذلك ، و كان لا يأخذ شيئًا علي الفتيا تنزهًا ، فإذا عوتب في ذلك قال : أنا أخذت العلم بلا ثمن ،

فأريد إنفاقه كذلك . و أخذ عنه الطلبة كتبًا غير التي قرأها، و سمعها علي شيوخه مما لا طريق له فيها إلا الإجازة و هي كثيرة جدًا، في فنون عدة، بل أخذوا عنه في فنون دقيقة، لم يقرأ في شيء منها كعلم الحكمة التي منها علم الرياضيات والطبيعيّ والإلهيّ، وكعلم الهيئة و علم المناظر، و علم الوضع .[13] و ابتلي بالقضاء في مدينة صنعاء بعد موت من كان متوليًا للقضاء الأكبر بها..ولم يدع الاشتغال بالعلم، و إن كان اشتغاله- بعد توليه القضاء- بالنسبة إلي ما كان عليه ليس شيئًا ، و كان دخوله في القضاء و هو ما بين الثلاثين والأربعين .و قد مات حاكمًا بها .[14]

أشهر تلامذته :

ذكر الدكتور عبد الغني الشرجي في كتابه الإمام الشوكاني حياته و فكره [15] 92 تلميذًا نذكر منهم :

1 – أحمد بن حسين الوزان الصنعاني.

2 – أحمد بن عبد الله الضمدي .

3 – السيد أحمد بن علي بن محسن بن الإمام المتوكل علي الله إسماعيل بن القاسم الصنعاني .

4 – أحمد بن لطف الباري بن أحمد بن عبد القادر الورد .

5 – أحمد بن يوسف الرباعي .

6 – السيد إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن .

7 – حسن بن أحمد بن يوسف الرباعي .

8 – الحسن بن قاسم المجاهد القاضي العلامة الذكي .

9 – حسين بن علي بن صالح العماري الصنعاني .

10 – الحسين بن محمد بن عبد الله العنسي ثم الصنعاني .

11 – الحسين بن يحيي السلفي الصنعاني .

12 – صالح بن محمد بن عبد الله العنسي ثم الصنعاني .

13 – عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن علي البهكلي الضمدي ثم الصبياني .

14 – الحسن بن أحمد البهكلي .

15 – محمد بن علي بن الحسن العواجي .

16 – عبد الله بن شرف الدين المهلل .

17 – السيد عبد الله بن علي بن عبد الله الجلال .

18 – عبد الله بن محسن الحيمي ثم الصنعاني .

19 – عبد الله بن محمد بن عبد الله العنسي ثم الصنعاني .

20 – السيد عبد الوهاب بن حسين بن يحيي الديلمي .

21 – علي بن أحمد بن هاجر الصنعاني .

22 – السيد علي بن إسماعيل بن علي بن القاسم بن أحمد بن الإمام المتوكل علي الله إسماعيل ابن القاسم بن محمد .

23 –(والده) علي بن محمد الشوكاني .

24 – السيد علي بن يحيي أبو طالب .

25 – السيد القاسم بن إبراهيم بن الحسن بن يوسف .

26 – القاسم بن أمير المؤمنين المتوكل علي الله أحمد .

27 – الفقيه قاسم بن سعد بن لطف الله الجبلي .

28 – السيد القاسم بن أحمد بن عبد الله بن القاسم بن أحمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيي .

29 – محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جار الله مشحم الصعدي .

30 – السيد محمد بن إسماعيل بن حسن الشامي .

31 – محمد بن حسن السماوي .

32 – محمد بن علي بن حسين العمراني ثم الصنعاني .

آثاره العلمية ومؤلفاته:

إذا لم يكن للشوكاني غير كتاب نيل الأوطار الذي نحن بصدده فيكفيه ذلك ، حيث قيل: بيع الدار و اشتري نيل الأوطار ، لقد كان الشوكاني محبًا للعلم مكبًا عليه ، يكتب و يقرأ ، يقضي ويفتي ، و العام إذا مات لم يبق إلا علمه بين أيدي الناس .

و يذكر الشجني أحد تلاميذ الشوكاني نشاط الشوكاني في التأليف فيقول :

" و بعد أن ولي القضاء ، لم يزل مشغولًا بالتأليف المفيدة ، فإن أكثر تأليفه و أكبرها إنما كان بعد أن ولي القضاء ، و وسع الله له في أوقاته توسيعًا يلحق بالمعجز ، أخبر السيد العلامة علي بن المظهر بن إسماعيل عن بعض النساخين الفحول: أنه اشتكي إليه من توالي كراريس التأليف الآتية من شيخ الإسلام ، و أنه يأتي إليه الكراس ، فيشرع في نسخه فلا يأخذ في أبعاضه، حتي يأتي إليه ما بعده ، علمًا بأن النّسَاخ لم يكن معه شيخ غيره ، و قد صار مستغرقًا ، فأعجب لتباين الحالتين بين الاشتغال بالتأليف، و القيام بأعباء القضاء الأكبر و القراءة و العبادة، و بين اشتغال الناسخ المعتبر المشغول بنسخ ما وصل إليه، و لم يقم بذلك ، ذلك الفضل من الله .(**16**)

و قد ذكر الإمام الشوكاني في البدر الطالع بعض الكتب في ترجمته لنفسه – بعد ذكر شيوخه –حيث قال :

" هذا ما أمكن خُطُوره بالبال حال تحرير هذه الترجمة ، و لعل ما لم يُذكر أكثر مما ذُكر ، و قد كان جميع ما تقدم من القراءة علي شيوخه في تلك الفنون ، و قراءة تلامذته لها عليه مع غيرها ، وتصنيف بعض ما تقدم تحريره ، قبل أن يبلغ صاحب الترجمة أربعين سنة ، بل درّس في شرحه للمنتقي قبل ذلك، و ترك التقليد ، و اجتهد رأيه اجتهادًا مطلقًا غير مُقَّيد و هو قبل الثلاثين ".(**17**)

و قد كانت هذه المصنفات تصانيف مطولات و مختصرات و رسائل منها :

من المصنفات :

1 – **شرح المنتقي (المسمى نيل الأوطار)**: كان تبيضه في أربع مجلدات كبار أرشده إلي ذلك جماعة من شيوخه كالسيد العلامة عبد القادر بن أحمد ، و العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي ، و عرض عليهما بعضًا منه ، و ماتا قبل تمامه .

2 – حاشية شفاء الأوام .

3 – الدرر البهية وشرحها (الدراري المضية).

4 – الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة .([18])

ومن المختصرات :

1 – الإعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام : جعله كالمعجم لشيوخه وتلامذته .

2 – بغية الأريب من مغني اللبيب : نظم ذكر فيه ما تمس الحاجة إليه ، و شرحها .

3 –كفاية المتحفظ : نظم و لم يبيض ، و كان نظمه لهاتين المنظومتين في أوائل أيام طلبه .

4 – المختصر البديع في الخلق الوسيع: ذكر فيه خلق السموات و الأرض والملائكة و الجن و الإنس، و سرد غالب ما ورد في الآيات و الأحاديث ، و تكلم عليها فصار في مجلد لطيف ، و لكنه لم يبيضه .

5 – المختصر الكافي من الجواب الشافي .

و من الرسائل :

1 – رسالة في أحكام الاستجمار .

2 – رسالة في أحكام النفاس .

3 – رسالة في كون تطهير الثياب و البدن من شرائط الصلاة أم لا .

4 – رسالة في الكلام علي وجوب الصلاة علي النبي– صلي الله عليه وسلم – في الصلاة أم لا.

5 – رسالة في صلاة التحية .

6 – رسالة في أسباب سجود السهو .

و قد جمع من رسائله ثلاث مجلدات كبار ، ثم لحق بعد ذلك قدرُ مجلد ، و سمي الجميع (**الفتح الرباني في فتاوي الشوكاني**)، و جميع ذلك رسائل مستقلة و أبحاث مطولات . [19]

وفاته :

توفي الإمام الشوكاني – **رحمه الله تعالي** – بصنعاء في جمادي الآخرة سنة 1250 هـ – 1834 م عن ست وسبعين سنة وسبعة أشهر ، و قبره بمقبرة خزيمة المشهورة بصنعاء ، و قد صُلي عليه في الجامع الكبير بصنعاء .([20])

المطلب الثاني : عصر الإمام الشوكاني

لقد عاش الإمام الشوكاني أحداث عصره ، و تفاعل مع خصائصه و سماته ، و كانت له مواقف محدده من أوضاع ذلك العصر ، و يمكن أن تتلخص أحوال عصره فيما يلي :

الحياة السياسية :

اتسمت الحياة السياسية في عصر الإمام الشوكاني بعدم الاستقرار ، و كثرة الصراعات و ذلك علي المستويين : المحلي (اليمن) والعالمي .

ففي اليمن : آل الحكم بعد الانسحاب العثماني (1045 هـ) للأئمة الزيديين الممثلين في أسرة آل القاسم بن محمد (ت 1029 هـ - 1620 م) .(21)

و قد عاصر الشوكاني أربعة من الأئمة وهم : المهدي عباس ، و ابنه المنصور علي ، و ابنه المتوكل أحمد ، و ابنه المهدي عبد الله .(22)

و قد شهدت الحياة السياسية في حكم هؤلاء الأربعة صراعات حادة علي المستويين الداخلي والخارجي .

و الجدير بالملاحظة : إن الأحوال السياسية في بلاد اليمن لم تكن بمعزل عما يجري حولها في الأقطار الإسلامية و العالمية ، فالعالم الإسلامي في هذا العصر شهد صراعات مختلفة :

داخلية؛ كالصراع العثماني الصفوي ، والصراع العثماني المصري .

و خارجية؛ كالصراع الإنجليزي المصري ، و الصراع العثماني الفرنسي ، و جميع هذه الصراعات مهدت للغزو الصليبي العسكري والاقتصادي الذي استهدف اقتسام البلاد الإسلامية .

و الجدير بالذكر بعد هذا التلخيص للحياة السياسية في عصر الإمام الشوكاني أن الإمام لم يكن بعيدًا عن تلك الأحداث لا سيما المحلية منها ، فقد تولي القضاء في عهد الإمام المنصور علي سنة 1209 هـ منصب القضاء الأكبر ، و استمر فيه بقية حكم المنصور ، و من بعده ابنه المتوكل أحمد ، و حفيده المهدي عبد الله حتي توفي عام 1250 هـ – 1834 م قبل وفاة المهدي بنحو عام .(23)

كما تولي في ذات الوقت منصب "كاتب الإمام " الذي يتولى كل المراسلات الداخلية و الخارجية باسم الإمام .(24)

و لطول فترة تولي الإمام الشوكاني لهذين المنصبين ، فقد كان له دور علمي وسياسي ذو أثر واضح في مجريات الأحداث المعاصرة له .

الحياة الفكرية :

لقد واكب الجمود الفكري و العلمي الاضطراب السياسي في جميع أنحاء البلاد العربية و الإسلامية ، لكن الدراسة التاريخية للمذهب الزيدي تؤكد تميز اليمن عن سائر البلاد بحركة فكرية و فقهية .

فعلي الرغم من الاضطرابات السياسية و الأزمات الاقتصادية و الاجتماعية الناجمة عن الحروب الناشئة عن الصراعات السياسية و القبلية في اليمن ، و علي الرغم من طغيان عنصري التعصب و التقليد علي البيئة العلمية اليمنية ، فإن حركة التأليف و الانفتاح الفكري كانت مزدهرة في هذا العصر .(25)

و الباحث عن الأسباب الموضوعية لهذه الحركة العلمية يجد أن عاملي : التعصب المذهبي ، و تواطؤ بعض الفقهاء مع العامة لتحقيق بعض المصالح عملا علي تحريك الحياة الفكرية و الثقافية في اليمن ، إذ ظهر علماء أجلاء تصدوا لتيار الفساد والبدع ، فأسهمت الخصومة التي كانت بين المتعصبين وهؤلاء العلماء المجتهدين في إثراء الانتاج العلمي .(26)

الحياة الدينية :

لقد استقر في اليمن المذهب الزيدي والشافعي (27) و لكن المذهب الذي ساد في عصر الشوكاني هو المذهب الزيدي الذي عُرف بتفتحه في العقائد علي مذهب المعتزلة، و في الفروع علي مذاهب أهل السنة . (28)

و تميز المذهب الزيدي عن باقي المذاهب بخاصية جوهرية ، و هي فتح باب الاجتهاد ، و عدم المناداة بغلقه ، بل جعل الاجتهاد شرطًا لمن يؤهل نفسه لمنصب الإمامة الزيدية .(29)

و لكن بالرغم من ذلك فقد شاع في عصر الإمام الشوكاني التقليد لائمة المذهب ، و التعصب لآرائهم ، و التزام التخريج علي أقوالهم ، و قد ساعد هذا الجو علي نمو طبقة طفيلية من المتفقهين تجاري العامة في معتقداتهم كسبًا لودهم ، أو تملقًا لصاحب سلطان .(30)

و من هنا يتبين أن البيئة الدينية التي عاش فيها الشوكاني كانت بيئة المتناقضات أصول تبيح الاجتهاد و تقره ، و واقع يفرض التقليد والتعصب المذهبي .... أصول تقوم علي العلم ، و واقع يُبني علي الأهواء ، إذ كثيرًا ما انساق العوام لتحريض بعض العلماء من خصوم أهل الاجتهاد فيقومون بثورات جماعية ضدهم مثلما حدث مع محمد بن إسماعيل الصنعاني و الشوكاني .(31)

الحياة الاجتماعية والاقتصادية :

شهدت اليمن في هذا العصر تدهورًا رهيبًا للحياة الاجتماعية ، فقد كانت للثورات الداخلية القبلية كما بين الإمام الشوكاني ، دور كبير في نشر الخوف و الرعب في أوساط المجتمع اليمني، عن طريق الغزوات المتلاحقة التي كانت تهدف إلي الحصول علي المقررات المالية ونهب المواطنين .(32)

كما عرف المجتمع اليمني في هذا العصر ظلمًا اجتماعيًا سببه تعفن الجهاز الإداري ، و إسناد منصب القضاء لغير أهله .(33)

أما الحياة الاقتصادية فقد كان لتدهور الأحوال السياسية بشكل عام أثره البالغ علي الوضع الاقتصادي للدولة ، التي اقتصرت إيراداتها علي الضرائب إلي جانب الزراعة التي يقوم بها أفراد الشعب و التجارة .(34)

كما أدت الفتن التي نزلت بالبلاد إلي ضيق المعاش، و تقطع كثير من أسباب الرزق و عسر المكاسب حتي ضعفت تجارة الناس و مكاسبهم، و أفضي ذلك إلي كثير من .(35)

و مما زاد الوضع الاقتصادي تأزمًا لجوء بعض الائمة لمواجهة الأزمات الاقتصادية التي تفاقمت لفساد الإدارة ، و ضغط الاضطرابات الداخلية ، و الأحداث الخارجية إلي زيادة الضرائب ، و إحداث ضرائب جديدة ، و التغير المستمر للعملة ، و التلاعب بقيمتها ، و بمثل هذا

الإجراء ترتفع الأسعار ، و تضعف قيمة العملة الشرائية ، و يخسر الناس كثير من الأموال النقدية التي كانت في أيديهم .(36)

و قد انتقد الشوكاني هذه السياسة الاقتصادية في بعض قصائده الشعرية .(37)و في كتابه " الدواء العاجل في دفع العدو الصائل" الذي درس فيه أسباب تدهور الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في اليمن، كما حاول رسم سياسة اقتصادية محكمة تتحقق بها العدل الاجتماعي.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، و الصلاة والسلام علي نبينا محمد- ρ- و علي آله و صحبه أجمعين ، و التابعين، و من تبعهم بإحسان إلي يوم الدين ، أما بعد :

فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث ، و في هذه الخاتمة أحب أن أُجْمل أهم النتائج و الفوائد التي توصلت إليها في النقاط التالية :

1 – عاش الشوكاني –رحمه الله تعالي [1173 – 1250هـ] في فترة كانت البلاد الإسلامية تعاني من تفكك وضعف شديد ، وكانت الصراعات المذهبية ، والطائفية والقبلية تسود المجتمعات الإسلامية بصفة عامة ، و مجتمع اليمن (مسقط رأسه) بصفة خاصة ، و قد عاصر – رحمه الله تعالي – المذاهب والفرق والطوائف الدينية المختلفة : كالرافضة ، و الزيدية ، و الصوفية ، و المعتزلة و غيرهم ، و رأى فيهم من التعصب و الجمود ، و رأى الظلم الاجتماعي الذي ساد المجتمع اليمني عمومًا ، و تبدت مظاهره في سلوكيات القضاة والعمال و الحكام ، و هذه الأمور التي تكونت منها بيئة الشوكاني ، و التي كان لها أثر بالغ في ظهوره و قيامه بالإصلاح .

2 – نشأ الشوكاني – رحمه الله – في بيت علم ، حيث كان والده من العلماء الكبار ، وكان له أكبر الأثر في تكوين الشوكاني ، حيث هيَّأ له فرصة التفرغ للعلم ، و كفل له وسائل الحياة المعيشية ، فبدأ حياته العلمية منذ الصغر ، و تتلمذ علي عدد كبير من علماء صنعاء في عصره ، و لم يرحل منها ، و درس جميع العلوم الشرعية و العربية و نبغ فيها .

3 – خلَّف الإمام الشوكاني – رحمه الله تعالي – مع اشتغاله بالأعمال الكثيرة ، عددًا كبيرًا من المؤلفات والرسائل القيمة في مختلف العلوم ، و تجدر العناية بهذا التراث ودراسته ، حتي تتحقق الفائدة للدراسين و الباحثين من هذا التراث العلمي القيم .

4 – تفقه الإمام الشوكاني – رحمه الله تعالي – علي مذهب الزيدية ، إلا أنه لم يلبث أن تخلي عن التقليد و التمذهب ، و أصبح لا يتقيد بفرقة من الفرق ، أو مذهب من المذاهب ، بل اعتمد اعتمادًا مباشرًا علي الكتاب و السنة ، و أصبح من المجتهدين في البحث عن الحكم

الشرعي ، من خلال الأدلة والبراهين ،لا من طريق التقليد والتلقين ، و قد وصل إلي هذه المرتبة و هو دون الثلاثين من عمره .

و أخيرًا أحمد الله –تعالي– وأشكره الذي أعانني علي إتمام هذا البحث ، و إخراجه بهذه الصورة ، و إنني معترف هنا بالتقصير ، فإن كان ما ذكرته في بحثي هذا و ما عرضته فيه حقًا و صوابًا ، فمن فضل الله– تعالي– وحده ، فله الحمد والشكر أولًا و آخرًا ، و ما كان منه من خطأ أو زلل فمني و من الشيطان ، و أستغفر الله و أتوب إليه ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

111 – سوف يتم في الترجمة بشكل أساسي علي كتاب البدر الطالع ؛ لأنه ترجم لنفسه فيه فتكون تلك أفضل التراجم . ينظر في ترجمته :

- البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع ، تأليف القاضي العلامة / محمد بن علي الشوكاني المتوفي سنة 1250 هـ ، ويليه الملحق التابع للبدر الطالع ، جمعه / محمد بن محمد بن يحيي بن زبارة الحسني اليمني الصنعاني ، وضع حواشيه / خليل منصور، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولي ، 1418 هـ – 1998 م ، ج / 1 ، ص / 327 – 328 .
- الأعلام ، لخير الدين بن محمد بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفي : 1390 هـ) طبعة دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر ، مايو 2002 م ، ج / 6 ، ص / 298.
- الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة ، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني (المتوفي : 1345 هـ) ، تحقيق / محمد المنتصر بن محمد الزمزمي ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة السادسة ، 1421 هـ – 2000 م ، ص / 152 .
- هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل بن محمد أمين البغدادي (المتوفي : 1399 هـ) ، طبعة وكالة المعارف الجليلة ، استانبول، 1951 م ، أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولي ، ج / 2 ، ص / 365 – 366 .

2 – البدر الطالع ، للشوكاني ، ج / 1 ، ص / 328 – 329 .

3 – البدر الطالع ، للشوكاني ، ج / 1 ، ص / 329 .

4 – المرجع السابق ، ج / 1 ، ص / 330 .

5 – نفسه ، ج / 2 ، ص / 768.

6 – نفسه ، ج / 2 ، ص / 768.وينظر : الأعلام ، للزركلي ، ج / 6 ، ص / 298.

7– البدر الطالع ، للشوكاني ، ج / 2 ، ص / 776 .

8 – المرجع السابق ، ج/2 ، ص/ 768.

9 – البدر الطالع ، للشوكاني ، ج / 2 ، ص / 771 .

10 – المرجع السابق ، ج / 2 ، ص / 769 – 771 .

11 – نفسه ، ج / 2 ، ص / 771 .

12 – نفسه ، ج / 2 ، ص / 771 – 772 .

13 – البدر الطلع ، للشوكاني ، ج/2 ، ص / 772 – 773 .

14 – المرجع السابق ، ج/ 2 ، ص/ 777 . وينظر : الإعلام ، للزركلي ، ج/6 ، ص / 298 .

15 – الإمام الشوكاني حياته وفكره ، الدكتور / عبد الغني قاسم غالب الشرجي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، مكتبة الجيل ، صنعاء ، الطبعة الأولي ، ص / 238 – 265 .

16 – الإمام الشوكاني حياته وفكره ، عبد الغني الشرجي ، ص / 192 – 195 .

17 – البدر الطالع ، للشوكاني ، ج / 2 ، ص / 776 .

18 – الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني (المتوفي 1345 هـ) ، تحقيق / محمد المنتصر بن محمد الزمزمي ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة السادسة ، 1421هـ – 2000م ، ص / 152 .

19 – البدر الطالع ، للإمام الشوكاني ، ج/2، ص / 772 – 775 .

20– ينظر :

– الأعلام ، للزركلي ، ج / 6 ، ص / 298 .

– الرسالة المستطرفة ، للكتاني ، ص / 152 .

– الإمام الشوكاني حياته وفكره ، عبد الغني الشرجي ، ص /268 .

21 - التاريخ العام لليمن ، محمد يحيي الحداد ، الطبعة الأولي ، دار التنوير ، بيروت ، 1986 م ، ج/4 ، ص / 74–89 (بتصرف).

22 – الإمام الشوكاني ، سيرته وفكره ، عادل محمد علي ، مكتبة رياض الصالحين ، 1994 م ، ج/1 ، ص/15.

23 – مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ، حسين عبد الله العمري ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 1988 م ، ص / 64 .

24 – الإمام الشوكاني سيرته وفكره ، عادل محمد علي ، ج / 1 ، ص / 53 (بتصرف).

25 – الإمام الشوكاني حياته وفكره ، عبد الغني قاسم الشراجي ، ص / 145 .

26 – ينظر :

– الإمام الشوكاني حياته وفكره ، عبد الغني الشراجي ، ص/ 145 – 146 .

– الإمام الشوكاني سيرته وفكره ، عادل محمد علي ، ج/1 ، ص / 70 .

27 – تاريخ اليمن فرحة الهموم ، عبد الواسع بن يحيي الواسعي ، المطبعة السلفية – القاهرة ، الطبعة الأولي ، 1346هـ ، ص / 292 ، نقلًا عن: الإمام الشوكاني سيرته وفكره ، عادل محمد علي ، ج / 1 ، ص / 63 .

28 – تاريخ المذاهب الإسلامية ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ج / 2 ، ص / 495 .

29 – ينظر :

– مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ، حسين عبدالله العمري ، ص/ 17 .

– تاريخ المذاهب الإسلامية ، محمد أبو زهرة ، ج / 2 ، ص / 496 – 500 .

30 – ينظر :

– البدر الطالع ، للشوكاني ،ج/1 ، ص/ 234.

– القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ، للشوكاني ، تحقيق/ عبد الرحمن عبد الخالق ، دار القلم – الكويت ، الطبعة الثالثة ، 1983 م ، ص/ 47 – 48 .

31 – البدر الطالع ، للشوكاني ، ج/1 ، ص/233 .وأيضًا ج/2 ، ص/ 134.

32 – المرجع السابق ، ج / 2 ، ص / 178 .

33 – الإمام الشوكاني حياته وفكره ، عبد الغني الشراجي ، ص/ 143.

34 – موسوعة التاريخ الإسلامي ، أحمد شلبي ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، 1980م ، ص/ 511 .

35 – الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، محمد بن علي الشوكاني ، ضمن الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1930 م ، ص/ 28 .

36 – مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ، حسين عبد الله العمري ، ص/ 268 .

37 – ديوان الشوكاني (أسلاك الجوهر)، محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 1986 م ، ص / 233 – 234 .